

كتاب "معاني الآثار"
للإمام الطحاوي

obeikandi.com

كتاب "معانى الآثار" للإمام الطحاوى

قبل أن نتناول كتاب "معانى الآثار" لابد أن نتعرف على جوانب من شخصية مؤلفه ، فمن هو الإمام الطحاوى؟!

هو أحمد بن محمد سلامة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن خباب الأزدي الحجري المصرى، أبو جعفر الطحاوى الحنفى، الفقيه الإمام الحافظ، تكرر ذكره فى "الهداية" و"الخلاصة" فهو الإمام حافظ الإسلام خاتمة الجهابذة النقاد الأعلام شيخ الحديث وطبيب علله فى القديم والحديث.

كان إماما فقيها من الحنفيين، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، صحب خاله المزنى، وتفقّه عليه ثم ترك مذهبه وصار حنفى المذهب، وكان إماما ثقة عاقلا، لم يخلف مثله، كذا ذكره السمعانى وغيره، كان مرجعا لعلم الحديث، ووعاء لعلوم الدين، ذكره السيوطى فى حفاظ الحديث وقال: "وكان ثقة ثبّتا فقيها لم يخلف بعده مثله، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر" انتهى.

برع فى الفقه والحديث، وصنف التصانيف البديعة، والكتب المفيدة.

قال الشيخ أبو إسحاق: "انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر".

وقال غيره: كان شافعى المذهب، يقرأ على المزنى، فقال له يوما "والله لا جاء منك شيء" فغضب أبو جعفر من ذلك، وانتقل إلى ابن أبى عمران فلما صنف مختصره، قال: "رحم الله أبا إبراهيم (يعنى المزنى) لو كان حيا، لكفر عن يمينه".

وكان رحمه الله إماما فى الأحاديث والأخبار، سمع الحديث من خلق كثير، من المصريين والغرباء القادمين إلى مصر، منهم سليمان بن شعيب الكيسانى، وأبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفى.

وتفقّه عليه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن منصور الدامغانى، والشيخ الإمام أبو طالب سعيد بن محمد البردعى، وابنه أبو الحسن على بن أحمد الطحاوى..

قال الشيخ عبد القادر فى الطبقات: تفقه أولا على خاله المزنى، وروى عنه مسند الشافعى، وسمع الحديث من خلق من المصريين والواردين على مصر، منهم سليمان ابن شعيب الكيسانى، وأبوه محمد بن سلامة، ويونس بن عبد الأعلى الصدفى، شارك مسلما وأكثر الرواية عنه، وجمع بعضهم مشايخه فى جزء وروى عنه الخلق الكثير.

فمنهم أبو محمد عبد العزيز بن محمد التميمى الجوهري قاضى الصعيد وأحمد ابن القاسم بن عبد الله البغدادى المعروف بابن الخشاب الحافظ، وأبو بكر مكى بن أحمد البردعى، وأبو القاسم، مسلمة بن القاسم بن إبراهيم القرطبى، وأبو القاسم بن عبد الله ابن على الداودى القاضى، والحسن بن القاسم بن عبد الرحمن، وأبو محمد المصرى الفقيه، وابن أبى العوام القاضى الكبير، وأبو الحسن محمد بن أحمد الأخمى، وأبو بكر محمد بن إبراهيم المقرئ الحافظ.

وسمع منه كتابه "معانى الآثار" ابنه أبو الحسن على بن أحمد الطحاوى، وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى، صاحب المعجم، وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد المصرى الحافظ، وأبو بكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادى الحافظ، المعروف بـ "غندر" فى آخرين من أهل الصلاح والدين، وجمع بعضهم من روى عنه فى جزء، انتهى محصل كلامه.

قال العلامة الكفوى: وكان رحمه الله عالما بجميع مذاهب الفقهاء، وكان أعلم الناس بالكوفيين وأخبارهم.

وقال المحدث القارئ فى الطبقات: ونقل عن ابن عبد البر أنه قال: كان الطحاوى كوفى المذهب، عالما بجميع مذاهب العلماء.

وقال الإتقانى فى "غاية البيان" لا معنى لإنكارهم على أبى جعفر فإنه مؤتمن لأمتهم، مع غزارة علمه، واجتهاده، وورعه، وتقدمه فى معرفة المذاهب وغيرها، فإن شككت فى أمره، فانظر "شرح معانى الآثار" هل ترى له نظيرا فى سائر المذاهب، فضلا عن مذهبنا، انتهى.

مؤلفاته

وله رحمه الله تصانيف معتمدة، ومسانيد معتبرة، لم يأت بمثلها أحد من الفحول، وتلقاها أهل الفقه والحديث بالقبول.

فمنها: "(١)" "معاني الآثار" وشرحه بدر المحدثين الإمام العيني، كما شرح البخاري في مجلدات كبار، واعتنى بأسماء رجاله، زين المحدثين زين الدين المعروف بابن الهمام الثاني الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي (٢) و"بيان مشكل الآثار" قال المحدث القارئ في الطبقات: الأول، أول تصانيفه، والثاني آخر تصانيفه (٣) و"أحكام القرآن" في نيف وعشرين جزءا (٤) والمختصر في الفقه، وولع الفضلاء بشرحه. وعليه عدة شروح (٥) وشرح الجامع الكبير (٦) وشرح الجامع الصغير (٧) وله كتاب الشروط الكبير (٨) والشروط الأوسط (٩) والشروط الصغير (١٠) وله المحاضر والسجلات (١١) والوصايا (١٢) والفرائض وله (١٣) نقض كتاب المدلسين على الكرابيسي (١٤) وكتاب أصله كتب العزل (١٥) والمختصر الكبير (١٦) والمختصر الصغير، وله (١٧) تاريخ كبير، وله (١٨) مجلد في مناقب الإمام الأقدم، وفضائل الهمام الأعظم الأفخم، نائل الدرجات العلى بشهادة لو كان العلم عند الثريا كما رواه أهل الفضل والتقوى فخر الأمة المحمدية وناشر السنة المصطفوية، قوام الفقهاء والمحدثين، ومعظم أهل الصلاح والدين، إمامنا وإمام المسلمين، من لدن عهد التابعين إلى يوم الدين، أبي حنيفة الصوفي التابعي الكوفي - رحمة الله عليه - وعلى من يحبه ويترحم عليه، وله (١٩) في القرآن ألف ورقة، حكاها صاحب الكمال القاضي عياض في الإكمال وله (٢٠) النواذر الفقهية في عشرة أجزاء، وله (٢١) الحكايات في نيف وعشرين جزءا، وله (٢٢) حكم أرض مكة، وله (٢٣) قسم الفيء والغنائم وله (٢٤) الرد على عيسى بن أبان في كتابه الذي سماه خطأ الكتب، وله (٢٥) الرد على أبي عبيد فيما أخطأ فيه، في كتاب النسب، وله (٢٦) اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين.

شرح "معاني الآثار" للإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى -

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي - رحمه الله عليه -: سألتني بعض أصحابنا من أهل العلم أن أضع له كتابا أذكر فيه الآثار المأثورة عن رسول الله ﷺ في الأحكام التي يتوهم أهل الإلحاد والضعفة من أهل الإسلام أن بعضها ينقض بعضها لقلة علمهم بناسخها من منسوخها وما يجب به العمل منها لما يشهد له من الكتاب الناطق والسنة المجتمعة عليها.

وأجعل لذلك أبوابا أذكر في كل كتاب منها ما فيه من الناسخ والمنسوخ وتأويل العلماء واحتجاج بعضهم على بعض وإقامة الحجة لمن صح عندي قوله منهم بما يصح به مثله من كتاب أو سنة أو إجماع أو تواتر من أقاويل الصحابة أو تابعيهم.

وإني نظرت في ذلك وبحثت عنه بحثا شديدا، فاستخرجت منه أبوابا على النحو الذي سألت، وجعلت ذلك كتابا، ذكرت في كل كتاب منها جنسا من تلك الأجناس.

فأول ما ابتدأت بذكره من ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ.

نماذج من كتابه في الطهارة

فمن ذلك، باب الماء يقع فيه النجاسة.

• **حدثنا** محمد بن خزيمة بن راشد البصري قال: ثنا الحجاج بن المنهال قال: ثنا حماد ابن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ من بئر بضاعة فقليل يا رسول الله إنه يلقى فيه الجيف والمخاض، فقال: "إن الماء لا ينجس".

• **حدثنا** إبراهيم بن أبي داود الأسدي قال: ثنا أحمد بن خالد الوهبي قال: ثنا محمد ابن إسحاق عن سليل بن أيوب عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله، إنه يستقي لك من بئر بضاعة وهي

بير يطرح فيها عذرة الناس، ومحائض النساء ولحم الكلاب فقال: "إن الماء طهور لا ينجسه شيء".

• **حدثنا إبراهيم قال:** ثنا عيسى بن إبراهيم البركي قال: ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملی قال: ثنا مطرف عن خالد بن أبي نوف عن ابن أبي سعيد الخدری عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يتوضأ من بير بضاعة، فقلت: يا رسول الله، أتتوضأ منها وهي يلقي فيها ما يلقي من النتن؟ فقال رسول الله ﷺ: "الماء لا ينجسه شيء".

• **حدثنا إبراهيم بن أبي داود قال:** ثنا أصبغ بن الفرج قال: ثنا حاتم بن إسماعيل، عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي عن أمه قالت: دخلنا على سهل بن سعد في أربع نسوة فقال: (لو سقيتم من بير بضاعة لكرهتم ذلك، وقد سقيت رسول الله ﷺ منها بيدي).

• **حدثنا فهد بن سليمان بن يحيى قال** محمد بن سعيد الأصبهاني قال أنا شريك ابن عبد الله النخعي عن طريف البصري عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرنا فانتهينا إلى غدير وجيفة فكففنا وكف الناس حتى أتانا رسول الله ﷺ فقال: ما لكم لا تستقون؟" قلنا: يا رسول الله، هذه الجيفة، فقال: "استقوا، فإن الماء لا ينجسه شيء" فاستقينا وارتوينا.

فذهب قوم إلى هذه الآثار، فقال: لا ينجس الماء شيء وقع فيه، إلا أن يغير لونه، أو طعمه أو ريحه، فأى ذلك إذا كان، فقد نجس الماء.

وخالفهم في ذلك آخرون، فقالوا أما ما ذكرتموه من بير بضاعة فلا حجة لكم فيه، لأن بير بضاعة قد اختلفت فيها ما كانت فقال قوم كانت طريقا للماء إلى البساتين فكان الماء لا يستقر فيها فكان حكم مائها كحكم ماء الأنهار، وهكذا نقول في كل موضع كان على هذه الصفة وقعت في مائه نجاسة فلا ينجس ماؤه إلا أن يغلب على طعمه أو لونه أو ريحه أو يعلم أنها في الماء الذي يؤخذ منها، فإن علم ذلك كان نجسا، وإن لم يعلم ذلك كان طاهرا.

وقد حكى هذا القول الذي ذكرناه في بير بضاعة عن الواقدي، حدثني

أبو جعفر أحمد بن أبي عمران عن أبي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي عن الواقدى أنها كانت كذلك.

وكان من الحجة في ذلك أيضا أنهم قد أجمعوا أن النجاسة إذا وقعت في بئر فغلبت على طعم مائها أو ريحه أو لونه، أن ماءها قد فسد.

وليس في حديث بئر بضاعة من هذا شيء إنما فيه أن النبي ﷺ إنما سئل عن بئر بضاعة فقيل له: إنه يلقي فيه الكلاب والمحائض فقال: (إن الماء لا ينجسه شيء).

ونحن نعلم أن بيرا لو سقط فيها ما هو أقل من ذلك لكان محالا أن لا يتغير ريح مائها وطعمه، هذا مما يعقل ويعلم.

فلما كان ذلك كذلك، وقد أباح لهم النبي ﷺ ماءها وأجمعوا أن ذلك لم يكن وقد داخل الماء التغيير من الجهات اللاتي ذكرنا، استحالة عندنا - والله أعلم - أن يكون سؤالهم النبي ﷺ: عن مائها وجوابه إياهم وذلك عما أجابهم، كان والنجاسة في البئر.

ولكنه - والله أعلم - كان بعد أن أخرجت النجاسة من البئر فسألوا النبي ﷺ عن ذلك: هل تطهر بإخراج النجاسة منها فلا ينجس ماؤها الذي يطراً عليها بعد ذلك؟ وذلك موضع مشكل لأن حيطان البئر لم تغسل وطينها لم يخرج فقال لهم النبي ﷺ: (إن الماء لا ينجس) يريد بذلك الماء الذي طراً عليها بعد إخراج النجاسة منها لا أن الماء لا ينجس إذا خالطته النجاسة وقد رأيناه ﷺ قال: (المؤمن لا ينجس) حدثنا بن أبي داود قال: ثنا المقدمي، قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد (ح) وحدثنا ابن خزيمة قال: ثنا الحجاج بن منهال قال ثنا حماد عن حميد عن بكر عن أبي رافع عن أبي هريرة، قال: لقيت النبي ﷺ وأنا جنب فمد يده إلي فقبضت يدي عنه وقلت إني جنب فقال: "سبحان الله، إن المسلم لا ينجس" وقال ﷺ في غير هذا الحديث: "إن الأرض لاتنجس".

• حدثنا بذلك أبو بكرة بكار بن قتيبة البكراوي، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا أبو عقيل الدورقي قال: ثنا الحسن أن وفد ثقف لما قدموا على رسول الله ﷺ:

ضرب لهم قبة في المسجد فقالوا: يا رسول الله، قوم أنجاس فقال رسول الله ﷺ: (إنه ليس على الأرض من أنجاس الناس شيء، إنما أنجاس الناس على أنفسهم). فلم يكن معنى قوله "المسلم لا ينجس" يريد أن بدنه لا ينجس وإن أصابته النجاسة، إنما أراد أنه لا ينجس لمعنى غير ذلك.

وكذلك قوله: "الأرض لا تتجس" ليس يعنى بذلك أنها لا تتجس، وإن أصابتها النجاسة.

وكيف يكون ذلك، وقد أمر بالمكان الذي بال فيه الأعرابي من المسجد أن يصب عليه ذنوب من ماء؟

• **حدثنا** محمد بن الحجاج بن سليمان الحضرمي، قال: ثنا علي بن معبد قال: ثنا أبو يوسف عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ "أنه نهى أن يبال في الماء الراكد ثم يتوضأ فيه".

قال أبو جعفر: فلما خص رسول الله ﷺ الماء الراكد الذي لا يجري دون الماء الجاري، علمنا بذلك أنه إنما فصل ذلك لأن النجاسة تداخل الماء الذي لا يجري، ولا تداخل الماء الجاري.

• **حدثنا** بحز بن نصر بن سابق الخولاني، قال: ثنا يحيى بن حسان قال: ثنا أبو أسامة حماد بن أسامة عن الوليد بن كثير المخزومي عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ سئل عن الماء وما ينوبه من السباع، فقال: "إذا بلغ الماء قلتين فليس يحمل الخبث".

• **وكما حدثنا** الحسين بن نصر سمعت يزيد بن هارون قال: أنا محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سئل عن الحياض التي بالبادية تصيب منها السباع فقال: "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً".

• **حدثنا** محمد بن خزيمة قال ثنا حجاج قال ثنا عن أبي المهزم قال سألنا أبا هريرة عن الرجل يمر بالغدير: أيبول فيه؟ قال: لا فإنه يمر به أخوه المسلم فيشرب منه ويتوضأ، وإن كان جارياً قليلاً فيه إن شاء.

وما قد حدثنا محمد قال: ثنا حجاج قال: ثنا حماد، عن أيوب عن محمد، عن أبي هريرة مثله.

وما قد حدثنا أبو بكرة قال ثنا أبو عامر العقدي قال ثنا سفيان عن زكريا، عن الشعبي في الطير والنسور ونحوهما: يقع في البير قال (ينزح منها أربعون دلوًا).

• حدثنا حسين بن نصر قال: ثنا الفريابي. ثنا سفيان عن زكريا عن الشعبي قال: (ينزح منها أربعون دلوًا).

وما قد حدثنا صالح عبد الرحمن قال: ثنا سعيد بن منصور قال: ثنا هشيم عن عبد الله بن سبرة الهمداني عن الشعبي قال: يدلو منها سبعين دلوًا.

وما قد حدثنا فهد بن سليمان قال: ثنا محمد بن سعيد بن الأصبهاني قال: ثنا حفص ابن غياث النخعي عن عبد الله بن سبرة الهمداني عن الشعبي قال: سألناه عن الدجاجة تقع في البير فتموت فيها؟ قال: ينزح منها سبعون دلوًا.

وما قد حدثنا صالح قال: ثنا سعيد بن منصور قال: ثنا هشيم قال: ثنا مغيرة عن إبراهيم في البير يقع فيه الجرذ أو السنور فيموت؟ قال: يدلو منها أربعين دلوًا، قال المغيرة حتى يتغير الماء.

وما قد حدثنا محمد بن خزيمة قال: ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن إبراهيم في فأرة وقعت في بئر، قال: (ينزح منها قدر أربعين دلوًا).

وما قد حدثنا حسين بن نصر، قال ثنا الفريابي قال: ثنا سفيان عن المغيرة عن إبراهيم في البير تقع فيه الفأرة قال ينزح منها دلاء.

وما قد حدثنا ابن خزيمة قال: ثنا حجاج قال: ثنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان أنه قال في دجاجة وقعت في بئر فماتت. قال ينزح منها قدر أربعين دلوًا أو خمسين ثم يتوضأ منها.

فهذا من رويناه عنه، من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم، قد جعلوا مياه الآبار نجسة بوقوع النجاسات فيها ولم يراعوا كثرتها ولا قلتها، وراعوا دوامها وركودها، وفرقوا بينها وبين ما يجري مما سواها.

فإلى هذه الآثار مع ما تقدمها مما رويناه عن رسول الله ﷺ ذهب أصحابنا فى النجاسات التى تقع فى الآبار، ولم يجز لهم أن يخالفوها لأنه لم يرو عن أحد خلافها.

فإن قال قائل فأنتم قد جعلتم ماء البير نجسا بوقوع النجاسة فيها، فكان ينبغى أن لا تطهر تلك البير أبداً لأن حيطانها قد تشربت ذلك الماء النجس، واستكنم فيها، فكان ينبغى أن تطم.

قيل له: لم تر العادات جرت على هذا قد فعل عبد الله بن الزبير ما ذكرناه فى زمزم بحضرة أصحاب النبى ﷺ فلم ينكروا ذلك عليه ولا أنكره من بعدهم ولا رأى أحد منهم طمها، وقد أمر رسول الله ﷺ فى الإناء الذى قد نجس من لوغ الكلب فيه، أن يغسل، ولم يأمر بأن يكسر، وقد شرب من الماء النجس.

فكما لم يؤمر بكسر ذلك الإناء، فكذلك لا يؤمر بطم تلك البير.

فإن قال قائل: فإننا قد رأينا الإناء يغسل، فلم لا كانت البير كذلك؟

قيل له: إن البير لا يستطيع غسلها لأن ما يغسل به يرجع فيها وليست كالإناء الذى يهراق منه ما يغسل به.

فلما كانت البير مما لا يستطيع غسلها. وقد ثبت طهارتها فى حال ما. وكان كل من أوجب نجاستها بوقوع النجاسة فيها، وقد أوجب طهارتها بنزحها وإن لم ينزح ما فيها من طين.

فلما كان بقاء طينها فيها، لا يوجب نجاسة ما يطرأ فيها من الماء وإن كان يجرى على ذلك الطين كان إذا ما بين حيطانها أخرى أن لا ينجس ولو كان ذلك مأخوذاً من طريق النظر، لما طهرت حتى تغسل حيطانها ويخرج طينها ويحفر، فلما أجمعوا أن نزح طينها وحفرها غير واجب، كان غسل حيطانها أخرى أن لا يكون واجبا.

وهذا كله قول أبى حنيفة، وأبى يوسف ومحمد - رحمهم الله تعالى -.